الاتحاد السوفييتي.. التغير ومعوقاته

لقاء مع رئيس تحرير «برافدا»

نشرت مجلة "ريفولسيون" الباريسية هذا اللقاء مع رئيس تحرير صحيفة برافدا السوفييتية ، ونحن بدورنا نقدمه لقرائنا لاهميته،من حيث القائه ضوءا على الكيفية التي يجرى بها التحديث وتوسيع الديمقراطية في بلد الاشتراكية الاول .

ان سياسة التجديد تفتقر الى الديناميكية وتصطدم بمجموعة من العراقيل ، هذا ما لاحظته في الاسبوع الماضي قيادة الحزب الشيوعي السوفييتي التي دعت الى "تعميم النقد والنقد الذاتي" والى "اشاعة الديمقراطية في جميع ميادين الحياة" هذه هي المواضيع التي دار حولها النقاش خلال المقابلة التي اجريت مع رئيس تحرير البرافدا ..

س – من يقرأ "البرافدا" هذه الايام يشعر بأن جميع المشاكل مطروحة على بساط البحث ؟

– في الواقع ان المشاكل لا تنقصنا، إن هذه هي مهمتنا الاكثر صعوبة طالما هناك البعض ممن يفضل تلقي الاوامر من فوق والحصول على عمل مبرمج .

س – كما يبدو فان هناك اتجاها لمقاومة الاصلاحات حيثما تتجسد ؟ .

– استطيع ان اقول ان غالبية المواطنين والمسؤولين يؤيدون ويطبقون هذا الخط ، الذي يهدف الى العمل بطريقة جديدة . ولكن هناك مجموعات مختلفة من الناس – من الصعب علي تحديد حجمها بدقة – تتصرف بشكل مختلف . اولا ، هناك من ينتظر ، معتقدين بان هذه الحملة

نتصدى لقضايا صعبة تراكمت منذ سنوات وعقود

فنحن نواجه جملة من القضايا الصعبة والتي تراكمت خلال سنوات وحتى عقود ، نتيجة تأخرنا في حلها او لحلها بطريقة غير مناسبة . حاليا ، لم تعد تخفى وجود جميع هذه التعقيدات . ونتكلم عنها بصراحة . وبدأ الناس في الحديث عن وجود حلول لهذه المشاكل ، بالطبع لن تحل في يوم ، ولا في سنة ، وانا ارفض ان احدد موعدا نهائيا لحلها ولكني متأكد بان اليوم الذي ستحل فيه كل هذه التحديات قادم لا محالة .

س – يوجد تشكك في موسكو كما في باريس ، حيث يقول البعض "ان الحديث عن اصلاحات ومن تغيير في الاتحاد السوفييتي يجرى منذ زمن بعيد ، فما هو الجديد هذه المرة ؟

– ما الجديد ؟ اعتقد بأن اهم شيء انه ، منذ ربيع العام المنصرم وفيما بعد خلال مؤتمر الحزب، تم تحديد خطنا الاستراتيجي بشكل واضح نتحدث اليوم عن "تسريع التطور الاقتصادي والاجتماعي" ماذا يعني ذلك ؟

نريد بالطبع تسريع الايقاع ، ولكن ما هو اهم ، اننا نهدف الى خلق تحولات نوعية في حياتنا . اولا في المجال الاقتصادي ، ثم الاهتمام كما ينبغي بالمشاكل الاجتماعية . كانت رسالة المؤتمر ان تؤخذ مصالح الجمهور في راس قائمة اهتماماتنا، ففي المحصلة يبقى الفرد الهدف الاول للاشتراكية ، ارضاء احتياجاته ، تطوره الثقافي والاخلاقي . هذا هو الهدف . اما فيما يتعلق بالانتاج ، فان الالات والمكننة ما هي الاوسيلة توظف لخدمة الهدف المذكور اعلاه ، الا وهو خدمة الفرد . وللاسف فقد تم غالبا التركيز على الوسائل واغفال الهدف . كانت الخطة ، الارقام ، والنتائج تحظى بالاهتمام ،ويتم نسيان احتياجات الناس وما يشغلهم . هدفنا الثالث والاكثر طموحا احداث انقلاب تام لنفسية الجمهور ، وباللغة الماركسية "تفعيل العامل الانساني" ، تسريع التطور الاجتماعي لخدمة الانسان . وفي نفس الوقت فعلى الانسان تقع مسؤولية تحقيق ذلك . ومن هنا تنبع الحاجة الملحة لمشاركتهم الفعالة بالمعنى الواسع : روح المؤسسة ، الابداع ، استقلالية العمل ومن دون ذلك لن نحقق الكثير .

عابرة "تضاف الى سابقاتها" وان حل الموضوع كلام ليل يمحوه النهار . هناك ايضا النوع الذي يظهر بمظهر المقتنع ولكن لا يعمل شيئا . واخيرا هناك خط الخصوم الذين يعلنون موقفهم بشكل او بآخر .

الاوائل يجب اقناعهم ، المجموعة الثانية يبدو انها ببساطة لا تعرف كيف تتحرك ،علينا ان نعلمهم ذلك بصبر . اما بالنسبة للاخرين "الخصوم" فيجب النضال ضدهم . وحاليا خفت طريقها حركة كفاءة عميقة في البلاد .

س – كيف تعبر عن نفسها حركة اعادة الاعتبار للقضايا الاجتماعية ؟

– نحن نقوم بتغييرات ضخمة : اصلاح المدارس الثانوية بدا مسيرته مع بعض الصعوبات ، الهدف هو اعطاء الشبيبة تكوينا عمليا وعصريا مرتبطا بالمحيط الاجتماعي ، تعليما يسمح لهم باكتشاف الذات ضمن هذا الخضم الهائل من المعلومات . كما بدأنا ، ايضا ، الاصلاح في مجال

اصلاح المدارس يهدف الى توفير تكوين علمي وعصري للشبيبة

التعليم العالي حيث تم نشر برنامج اصلاح في "البرافدا" . وبدأ النقاش حوله . كان هدفنا سابقا تخريج اعداد كبيرة من الخريجين الحاصلين على شهادات عليا ، من كل مؤسسة تعليم عال وفي كل تخصص على حساب النوعية ... فقد كان من المفروض تنفيذ الخطة . بينما سيكون الاختيار حاليا ، اكثر دقة وسنقوى من تكوين وقدرات الطلاب وسيتم التركيز على العلاقة ما بين المعرفة – الانتاج (الجوانب التطبيقية) .

في الواقع من الصعب ايجاد قطاع لا يخضع لحركة التجديد ، بعد سنوات من الجمود – عشرين سنة – في الاقتصاد والاجتماع قررنا تغيير الوضع والحسم ضد الروتين .

س – ما اطلق عليه ميخائيل غورباتشوف بالثورة الجديدة ، في مؤتمر خاركوفسك ، كيف ينعكس على وسائل الاعلام ؟

– التغييرات هنا لها مغزى عميق الصحافة المركزية تتجدد تماما . انني اعمل في المهنة منذ عشرين عاما واذا كان للصحافة عندنا مكان ما في الحياة الاجتماعية ، فانها لم تلعب ابدا الدور الذي تلعبه حاليا ، كما تحسنت مكانتها لدى الجمهور . طوال السنة الماضية وعلى اثر حملات صحافية – اقتصر هنا في الحديث على حملات "البرافدا" – اتخذت السلطة السياسية العديد من الاجراءات في ادارة الاقتصاد ، حق النقد ، وفيما يتعلق بحماية البيئة . لذلك باتت صحافتنا اكثر حيوية . كما تعمل على تسليط الاضواء على الحياة العامة ، وتولي تغطية اكثر لاليات اتخاذ القرار ، وانفتاحا اكبر على الثقافات السياسية . حول كل هذه المواضيع لم تكن في السابق عمليين فقد كانت تنقصنا السرعة والفاعلية. اثناء ماساة تشيرنوبيل كنا متأخرين. اليوم نحن اكثر سرعة وعملية ، على سبيل المثال حين غرقت سفينة الركاب في البحر الاسود او لدى احداث اخرى متعددة جرت حديثا وهكذا فقد اكتسبت صحافتنا حقوقا وفي نفس الوقت زادت مسؤوليتها .

س – يوجد شعور بان اهتمام وثقة القراء قد زادت ..؟

– بالضبط "البرافدا" توزع حاليا ١١٫٥ مليون نسخة . رسائل القراء الينا زادت ، تلقينا في السنة الماضية ٦٠٠٫٠٠٠ رسالة حول كافة المواضيع : اقتراحات ذات طابع سياسي ، مقالات واشعار – وحاليا اكثر من ٦٠ بالمئة مما ينشر لا يكتبه اعضاء هيئة تحرير المجلة او صحافيون محترفون ، وانما قراء : كوادر الحزب ، نقابيون ، شباب ، محاربون قدماء ... الخ نستلم ايضا شكاوى وخاصة حول السكن ولا نترك رسالة دون رد،واليوم فان قسم بريد القراء هو الاكبر حجما في الجريدة حيث يعمل به ١٠٠ شخص .

نتلقى ايضا رسائل دولية ويوجد اهتمام بنا من قراء في كافة ارجاء المعمورة تتعلق بحياتنا ونوايانا . وبشكل عام توجد معرفة قليلة بالواقع السوفييتي في دول الغرب والحقيقة محرفة والان يود الناس ان يعرفوا اكثر .

س – انت تدير برنامجا تلفزيونيا منذ فترة قصيرة وترد على اسئلة المشاهدين ؟

– هذه الحلقات تذاع مرة كل اسبوعين ، قاسية ولكنها جديرة بالاهتمام . اهتم عادة بالاسئلة الشائكة واحاول ان اجد لها جوابا واعترف بانني قد غرقت تحت اكوام الرسائل ومن العسير الاجابة عليها جميعا . وهذه الرسائل تتحدث عن مسائل نظرية كما عن قضايا الحياة اليومية ، وبشكل عام فان المشاهدين يودون ان تعمي الامور بشكل اسرع وان تكون التغييرات اكثر حيوية . هناك نوع من نفاد الصبر لدى الناس ، وهذا بحد ذاته ظاهرة مهمة .

س – المؤتمرات الاخيرة للسينمائيين رأيك ؟

– هذه المؤتمرات كانت مفعمة بالحياة ، وتم نقاش كافة الامور التي تشغلهم بصراحة وحرية تامتين ، دون اعطاء اعتبار للبروتوكول او للذين سيمسهم النقد او للمطلوب منهم تقديم الحساب . لدى السينمائيين وعن طريق الاقتراع السري تغيرت جميع الادارة السابقة ، كما طرأت تغييرات ملموسة لدى الكتاب ، اصبحوا احرارا اكثر ، واكثر حيوية في التعبير عن اراءهم . بدأ البحث مثلا حول الافلام التي اخضعها بعض البيروقراطيين للرقابة ، كذلك تقوم بنشر بعض الكتابات الجادة. لكتاب كانوا حتى الامس القريب مهملين . وبالطبع في ظل هذا الوضع تقال بعض الاشياء التي لا توافق اراني على طول الخط . فيجب بالتركيز على الوان الاوان الاشياء بشكل حدي ، لا تتجه لوجه ، والذي ادعني ان بعض الكتاب يفترون بعض اليدينية ، واخرين ايضا يتهمون الغرب ، فالقدين بذلك هو يجب في معرض هذا الصدد ان اننا ، في هذا المجال ، نو الثقافي . حتى باستكاني ان السوفييت يعرفون الثقافة الغربية مما يعرف الغرب الثقافة السوفييتية . كل هذه الاشياء تثير لدى قرائنا ردود افعال من

«أيام» في بلاد العم سام (١)

شاع تمثال الحرية ، فجعلوا حكاية ترميمه مناسبة للحديث عنه في الاعلام ، والتغني ، بالتالي ، "بالحرية" الاميركية العريقة . ويبلغ الاسراف ، كالعادة، في الفخ ، ويظن انه يعب كل نسائم الحرية دون غيره من بني البشر ويلفز كالملسوع اذا ما سمع اسم الاتحاد السوفييتي الذي، حسب اعتقاده البسيط ، لا يعرف شيئا عن الحرية، ويعيش كل ظروف العسف والتحكم .

اما نحن ابناء العالم الثالث ، الذين شاء حظنا ان نزور هذه البلاد، نصاب بخيبة امل كبيرة ، ونحن نرى كيف آل اليه مال الحرية هنا . "المدينة التي تتربع قمة التل" لها مفاهيمها الخاصة حول الحرية،وتقوم تصديرها الينا لتقبل بنتائجها قائلين : "اللهم لا اعتراض !" ولتذهب الحرية" ما شاءت لها العربدة وتمارس كل ضروب الاضطهاد والتفرقة والتهديد الانسانية كلها بحرب النجوم .. لتحمي نفسها لتبقى "ذخر الانسانية" ولنفقد نحن كل امل لنا في الحرية !

ومع انباء ترميم تمثال الحرية ، يبرز خبر مفاجيء، صغير وعابر، المزارعين الصغار من ولاية "ايوا" يطلق النار على مدير البنك الذي يتغلغل ثم يطلق النار على نفسه . وتتحدث الاخبار بشكل مقتضب عن مشاكل المزارع الصغار وارتفاع نسبة الفائدة البنكية .. ولكن ياتي التأكيد في النهاية ان قرار المنتحر كان يعاني اضطرابا نفسيا، شهد بذلك من عرفوه وجاوروه .

زرت المزارع ، اخذوني "للفرجة" عليها ليقبتوا لي ولغيري ان هذه الزراعية في بلدان العالم الثالث ليست شيئا مذكورا، رغم انها عاشت بضع الاف السنين ، وقامت عليها كل مفاهيم ومعتقدات الانسانية ازمانا بعد ازمان ، فزراعتنا لم تعد تواكب العصر، وعلينا ان ننهل المعرفة بالزراعة من حيث حسبما تشير به بلاد العم سام، تلك المدينة التي تتربع قمة التل ، والاعلى بنواصي التصنيع الزراعي، عندما يصبح الباب مفتوحا امام الجهد الخارق ، فالزراعة ليست الا "شطارة" تقوم على خلق علاقات مع البنوك ومعرفة السوق والتحكم فيه، وفوق هذا منع مضاربة صغار المزارعين ، وباقي في الدين، ومن ثم نهب اراضيهم .

زرت احدى المزارع ، مساحتها توازي اقاليم بالقياس الى بلادنا . المزرعة شخص واحد، يقيم مع زوجته في بيت "امبراطوري" داخل الحقل يجمع في البيت كل تراث الاجداد وصورهم .. يحدثك عن جده الاول الذي جاء الى هذه المنطقة ، وما "عاناه" في سبيل الحصول على الارض ، صورة جده صدر جدار قاعة الجلوس ، وكانه يصغي الى هذا الحديث الذي وصل في جديثه الى مآثر ابيه وكيف استطاع ان يضم بعض الاراضي الى مزرعته . ويبدو التواضع على صاحبنا الذي يؤكد انه حقق حلم الاب فاستطاع ان يجعل من المنطقة كلها ارضا واحدة، تحمل اسم العائلة .

كانت كلمات المزارع تحمل الى اذني طلقات الرصاص التي اطلقها احد من "ايوا" على مدير بنكه ثم على نفسه، وكنت اتساءل : هل حاول المزارع المنتحر، مزارعا اكبر منه، يحلم بتحقيق حلم الاجداد ؟ .. ان المزارعين الصغار ظاهرة في بلاد العم سام ، وهي بطبيعة الحال لا تحظى بالدراسة والعناية من احد هناك .. فالبلاد بلاد الحرية ، والمنافسة ، والصغار لا يستطيعون منافسة الكبار .. ويبقى دور البنوك خافيا في الظل، ان المزارع الصغير قد اشار اليه عندما افرغ رصاصه في صدر مدير البنك، انها ورغم هذا بلد تمثال الحرية الذي يرممونه من جديد ليقال في الايام، في كتب التاريخ ، ان الحقبة الريغانية حملت معها بالاضافة الى حرب النجوم ، ترميم تمثال الحرية .

"يتبع"

حسام